

## جذور وأصول الفكر الإيقاعي (4)

مقتطفات: من كتاب "رباعيات ..و.. رباعيات"

نواصل اليوم مع رباعيات الخيام

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD120617.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

[mokattampsy2002@hotmail.com](mailto:mokattampsy2002@hotmail.com) - [rakhawy@rakhawy.org](mailto:rakhawy@rakhawy.org)

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/06/11

السنة العاشرة - العدد: 3572



### مقدمة:

أن الألوان أن ننقل إلى رباعيات نجيب سرور ومع أنها الأقل في المجموعات الثلاث من حيث علاقتها المباشرة بالطب النفسي الإيقاعي التطوري، إلا أن جرعة ما تكشفه عن العلاقة بين الإبداع القوي والجنون الصريح قد يكون نموذجاً مناسباً لتدعيم الفروض التي نقدمها.

نجيب سرور مبدع مغامر مخترق قوى، وفي نفس الوقت فإنه ذو خبرة مع المرض العقلي ليس عندي أي تفاصيل عنها منه شخصياً، أو ممن يعرفه، إلا أنه لم يتردد في إعلانها (انظر هامش 1)، بل وأقر أنه كتب بعض رباعياته وغيرها وهو في عنف شدة نوبة من نوبات هذه الخبرة، هذه العلاقة هي أساس جوهرى، وهى التى أوحى لى بالعنوان الأشمل الذى اكتب فيه عن الفصام ممثلاً لهوة الضياع ووعود الإبداع، هنا الإبداع الذى تجلى عند سرور لم يتوقف عند مرحلة أنه مجرد وعد محتمل بل هو مُعطى بين أيدينا كأروع وأعرق ما يكون الإبداع، من شخص لم ينكر دخوله فى أطوار تفكك لم يستطع أن يسيطر عليها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه، ولو لبعض الوقت.

ثم نعود إلى رباعياته فى حدود ما صدر فى الكتاب الذى نقتطف منه:

### المقتطف (1)

“وصلتني رباعيات نجيب سرور (1) مثل السوط الصلب المخشوشن المحمى طرفه بالنار، حتى احمرّ جمراً، وقد غُمس في سُمّ ناجع، يلهب ويؤدّمى ويؤقطننا ويفزعنا بتلاحق لا يسمح حتى باستيعاب الألم، ثم يتركنا ليسرى السم فى موتنا لعلنا نستيقظ (باعتباره "ناجعا") (2)، أو فلندفع الثمن ونحن نستنشق تراباً، وعفن وجودنا القبيح القدر.

جمعت رباعيات سرور فى هذه الجملة أيضاً، التى صارت عندي بمثابة "الفرض" العامل للنقد

المحتمل.

يقول سرور من خلال رباعياته:

“أنا وحيد يا أولاد القحبة، (3) وأنتم عميان قساة وكل منكم مشروع خائن، إن لم يكن قد خان بعد وأخص بالذكر اليهود والأغنياء، أولاد الكلب السفاحين، القتل والصمت والجنون هو جزاؤكم العادل، لو أنكم تهاونتم معهم، أو نسيتم ما هو أنتم، وأبو العلاء المعرى أحكم كل حكماء العصور، وحتى القبر لن يرحمكم، خذوها الجلدة تلو الجلدة، الرباعية تلو الرباعية، أنا لست محتاراً أصلاً؛ فقضيتهى ساطعة كالشمس: إنكم أغبياء سفاحين وأنا وحيد مكلوم أنزف قيحا، ليتناثر قذى فى عيونكم.”

نجيب سرور مبدع مغامر  
مخترق قوى، وفي نفس  
الوقت فإنه ذو خبرة مع  
المرض العقلي ليس عندي  
أى تفاصيل عنها منه شخصياً،  
أو ممن يعرفه، إلا أنه لم  
يتردد في إعلانها

نجيب سرور في رباعياته أساساً، وربما في حياته لم يعرف الأمان أصلاً، اللهم إلا "تلويحاً عابراً" طمّعه وخانه، فانطلق يضاعف من جرعة التوجس؛ باعتبار أن الهجوم خير وسيلة للدفاع، فامتطى جواد شعره الجامح، وذهب يلهب ظهر العالم بسوط مسموم الطرف، تساعده في استمرار عدوانه أغاني الفخر، وأهازيج الفتنونة؛ يحمي بذلك نفسه وحيدا في مواجهة العالم الكاذب اللعين. وقد خَلَّتْ رباعياته بعكس رباعيات الخيام من الشكوى المباشرة، والتألم الصادق البسيط، إلا أن هذا لا ينفي وجود الألم، بل لعله يؤكد عمق حدته إلى درجة لا تسمح بمواجهته، أو إعلانه، أو مجرد الحديث عنه، أو الإشارة إليه إلا مُسْقَطاً فينا وعلينا، وهو يقف فينا (مثل الخيام) خطيباً، ولكن شتان بين خطيب وخطيب، فمَنْبِر نجيب سرور هو ظهر جواده الثائر الجامح، في حين كان الخيام يقف خلف منبره (مقصف خمره أيضاً = البار) بائعاً أو هام أو كؤوس السعادة الذاتية، كما كان جاهين يحتوى عدوانه بقدر ما يعايش حزنه مترادفاً مع طيبة مع طيبة مسئولة تسمح له باستمرار حوار مع طيباً مؤنساً.

## المقتطف (2)

والحل الذي يطرحه سرور، هو القتل بلا إبطاء، وحتى احتجاجه الانسحابي الداعي إلى الصمت، لم يكن إلا سيفاً بتاراً، يشهره في وجه القدر.

### الصمت المتكلم

وعلى الرغم من البداية الشاكّة في جدوى الكلمات، كما وردت في أول رباعية، وهي هي وردت في آخر رباعية:

فليكن صمت جميع الشعراء

قدرا يُشهر في وجه القدر

(1/6)، (4) (525/86)

على الرغم من ذلك فهو لا يسكت، بل يعلم تماماً ماذا يمكن أن تُحدث كلماته من أثر:

إنهم يخشوننا فالشعر سحر

هبة الله لكل الأنبياء

(193/74)

وهو يعلن صراحة ما يدعونا لقراءة الصمت:

اكتبوا الصمت إذن فالصمت حرف

(49/22)

التعقيب:

حين كتبت النفسراضية شعراً في ديواني "سر اللعبة" (5) "وتقمصت مريضى الفصامى، وصلنى

فأوصلنى كيف أن صمته هو صرخة ذات معنى ودلالة قلت في ذلك:

وصرخت بأعلى صمتى

لم يسمعنى الساده

وارتدت تلك الألف الممدودة مهزومة

تطعننى فى قلبى

وتدحرجت الهاء العمياء ككرة الصلب...،

داخل أعماقى

(انظر بعد - حالا - كيف فَكَّكَ سرور الكلمات في إبداعه رباعياته.)

## المقتطف (3)

صرخت بأعلى صمتى

لم يسمعنى الساده

وارتدت تلك الألف

الممدودة مهزومة

تطعننى فى قلبى

وتدحرجت الهاء العمياء

ككرة الصلب...

داخل أعماقى

## الكلمة والإيقاع

....“الفرس الجامح الذي يركبه سرور، هو ”الكلمة“، والسوط مسموم الطرف، هو ”الكلمة“، وفاعلية كلماته تتضاعف، من خلال لهاث إيقاعه المحموم، ويكاد القارئ يراه رأى العين، فى رباعياته، وقد أمسك بالكلمة، ففكها، وركبها. وصقلها، وسنّها، وأحكم مقوّدها، ثم غمسها فى منقوع المر المسموم، ثم نراه وقد تلعّف بها، ثم راح يجول ويصول وهو يفرقع ويلطمنا بها فى كل موقع؛ حتى أوجعنا وأنزفنا، ولعله أيقظنا، ولكنه أبدا لا يدعها (الكلمة) تسكن بين أيدينا خشية أن نمتنها، أو نزيّن بها عقولنا كما اعتدنا.

اعتقدت وأنا أعيش هذه الرباعيات أنه لا يستطيع قارئ يقظ أن يتلقى كلمات سرور هذه مسترخيا أبدا، ويبدو أن من صفات إبداع سرور أنه يسيطر على الكلمة بعدوانه، ولا يكتفى بأن يستعملها أداة لعدوانه المغير، (قارن الكلمة عند صلاح جاهين)، ثم دعونا ننظر الآن إلى نجيب سرور وهو يفكها ويقطعها ويلمها وينطّقها:

### كلمات كلمات كلمات

إته يونس ياسين يسوع

(40/19)

ثم:

كلمات فى اشتقاق وانعكاس

مثلما موسى.. وماس؟.. ثم سام

ثم سم.. لنرى النسناس ناس

ويظل الصلّ (6) يسعى فى الظلام

(41/19)

لاحظ جرأته على تقسيم كلمة النسناس ولعبه الحرّ بحرفي “السين” و “الميم” بحيث تراه وهو يفعل ذلك وقد امتلك ناصية الكلمات بل والحروف بإبداعية مخترقة.. (أنظر بعد) وهو يلعب بها وبمقاطعها كما شاء له اللعب، دون أن يفقد القيادة أبدا:

إعكسوا اللص فإن اللص صل

واعكسوا العكس فإن الصل لص

يا ظلال الكهف ما صل وظل

ها هو الصقر وبالمعكوس رقص

(42/19)

التعقيب:

حضرني وأنا أتابع تفكيك الكلمة إلى حروفها هكذا ثم اللعب بحروفها واحدا واحدا دون أن يتناثر منه المعنى، حضرني شعر آخر كتبتُه لاحقاً سنة 1981 فى ديوان لم ينشر، وهو ديوان “شظايا المرايا” ولم أكتب هذه القصيدة بأى غرض علمي لخدمة النفس مرضية كما كان الأمر فى ديوانى الأول “سر اللعبة” قلت فى قصيدة بعنوان: “نجمع أحرفها من بين ركام الألفاظ”، ما تذكرته فأنسى وأنا أقرأ الآن رباعيات سرور، وسوف أسمح لنفسي بأن أقدم ما تيسر من القصيدة لشدة ارتباطها بنوع تفكيك إبداع سرور فى رباعياته السالفة الذكر وغيرها.

نص المقتطف من:

قصيدة: نجمع أحرفها من بين ركام الألفاظ

.....  
.....

الفرس الجامح الذي يركبه سرور، هو ”الكلمة“، والسوط مسموم الطرف، هو ”الكلمة“، وفاعلية كلماته تتضاعف، من خلال لهاث إيقاعه المحموم

نَصْنَعُ كَلِمَةً،  
نَجْمَعُ أَحْرَفَهَا مِنْ بَيْنِ رُكَّامِ الْأَلْفَاظِ،  
تَتَخَلَّقُ مِنْ عَبَثِ الْإِبْدَاعِ:  
كُومَةٌ أَحْرَفٌ،  
هَبَّتْ نَسْمَةٌ:  
فَتَزَحْزَحَتِ الْأَشْلَاءُ الْمَلْتَحِمَةَ،  
تَتَجَادَبُ أَطْرَافُ الْأَجْنِحَةِ الْمَكْسُورَةِ،  
تُرْتَسِمُ الصُّورَةُ :  
تَخْتَلِطُ اللَّامُ الْآخِرُ وَالْمَنْفَرِدَةُ،  
بِاللَّامِ الْأَلْفِ الْمَمْتَدَّةِ،  
تَتَرَاوَعُ غَيْنٌ، تَسْقُطُ نَقْطَةٌ،  
تَنْقَلِبُ الْغَيْنُ إِلَى عَيْنٍ مَطْمُوسَةٍ،  
لَا بُدَّ وَأَنْ تَرْقُدَ وَسَطَ الْكَلِمَةِ -  
أَبْدَلْتِ الْمَوْضِعَ بِاسْتِحْيَاءِ،  
حَتَّى تَأْتِيَ أَوَّلَ مَقْطَعٍ،  
حَتَّى تُبْصِرَ مَنْ ذَا الْقَادِمِ.  
( لَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ أَصْلًا )  
جَرَجَرَتِ الْبِئَاءُ الْآخِرُ ذَيْلَ الْخَيْبَةِ،  
جَاءَتْ تَتَرَنَّحُ مِنْ طَعْنِ الْأَلْفِ الْهَمْزِهِ،  
شَبِقُ مَنْقَرْدٌ يَقْدَفُ بِفُتَاتِ اللَّذَّةِ،  
فَتَوَارَتْ خَجَلًا كَيْ تَتَخَفَى وَسَطَ الزَّحْمَةِ،  
صَارَتْ يَاءً مَنْقُوطَةً،  
تَتَجَمُّعُ تِلْكَ الْأَحْرَفُ دُونَ مَقَاصِلِ،  
تَتَحَدَّى الْأَلْفَاظُ الْمَصْقُولَةُ:  
(”الْحَرِيَّةُ، أَوْ حُكْمُ الشَّعْبِ الْعَامِلِ، أَوْ عَدْلُ السَّادَةِ، أَوْ حُبُّ الزَّوْجَةِ“  
اللَّعْبَةُ!!

مَا أَحْلَى اللَّعْبَةَ!!!!  
جَرَّبَ فَكَّ الْأَلْفَاظِ إِلَى أَحْرَفِهَا.

إِقْلِبْهَا،

بِوَزِّهَا (7) ،

اخْتَرِ سَبْعَةَ،

إِكْشِفْ خَمْسَةَ،

إِقْرَأْهَا جَمْعًا:

قَلِّبْهَا.. كَرِّرْ، أَكْمِلْ، قَفِّ.

رَدِّدْ أَنْفَاسَكَ مِنْبَهْرًا،

وَكَأَنَّكَ تَعْنَى شَيْئًا،

الخرطوم 14/10/1981

وبعد

أَمْسَكَ بِالْكَلِمَةِ، فَهَكَذَا،  
وَرَكَّبَهَا. وَصَلَهَا، وَسَمَّاهَا،  
وَأَحْكَمَ مَقْوَدَهَا، ثُمَّ خَمَّسَهَا فِيهِ  
مَنْقُوعَ الْمَرِّ الْمَسْمُومِ، ثُمَّ نَرَاهُ  
وَقَدْ تَلَوَّعَ بِهَا، ثُمَّ رَاحَ يَجُولُ  
وَيَصُولُ وَهُوَ يَفْرَقِعُ وَيَلْطَمُنَا  
بِهَا فِي كُلِّ مَوْضِعٍ؛ حَتَّى  
أَوْجَعْنَا وَأَنْزَفْنَا، وَلَعَلَّهُ أَيْقَطُنَا

لعل العلاقة ظاهرة بشكل مباشر بين أساسيات الطب النفسي الإيقاعية التطورية وبين مغامرتي بهذا الإبداع الباكر غير المقصود، ولعل ربطه بها يشير إلى أهمية مرحلة التفكير نحو إعادة التشكيك، وقد ذكرنا ذلك في عشرات المنشورات، مثل نشرات [نشرة 9-4-2017]، [نشرة 2-2-2016] [نشرة 26-1-2016]، [نشرة 5-1-2016].

- [1] في النسخة التي بين يدي: رباعيات نجيب سرور (الطبعة الأولى 1978) منشورات مدبولي، كتب المؤلف في آخر صفحة: السبت الأول من يونيو سنة 1974 مستشفى الدكتور النبوي المهندس للأمراض العقلية. ولا أتصور أنه كتب هذه الرباعيات جميعا في ذلك المستشفى العقلي، أثناء تلك النوبة. لعله فقط أنهاها أو سوّدها هناك، ثم أعاد تنظيمها وصياغتها فيما بعد. وإن كان لا يمكن نفي الاحتمال الأول احتراما لشجاعته.

- [2] نجع الشيء نجوعا: نفع وظهر أثره.

“ - [3] القحبة” كلمة عربية فصحي، وهي تعني الثرثرة كثيرة الكلام ولأن القدامى كانوا يقولون عندما يتكلمون عن أحد الفتيات - أنها قحبة وعاهرة وفتلانة والخ والخ وظن البعض بعد فترة من الزمن ولضعف لغتهم أن كلمة قحبة التي تعودوا سماعها من الكبار تحمل ما تحمله باقي الكلمات من معاني رخيصة.

- [4] نهج الترقيم ذاته (رقم الرباعية - شرطة مائلة - رقم الصفحة) نسخة منشورات مدبولي، 1978 (قمت بترقيم الرباعيات شخصا)

- [5] يحيى الرخاوى، ديوان: ”سر اللعبة“، دار الغد للثقافة والنشر، 1979

- [6] الصل (بكسر الصاد وتشديدها): الحية من أخبث الحيات

- [7] باز بوزا: انتقل من مكان إلى مكان، والمحذوف: مثل الدومينو

\*\*\* \*\*

## شبكة العالوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رفيا بعلم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

مساندة - إشتراعات الدعم

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=36&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3)

الإشمار - إعلانات الحماية

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=39&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=39&controller=category&id_lang=3)

إمخسوا اللص فإن اللص  
صل  
وإمخسوا العكس فإن الصل  
ص  
يا ظلال الكهف ما صل وظل  
ها هو الصقر وبالمعكوس  
رقص



شبكة علموم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية  
معاً ... نذهب أبعد

مركز باصااا  
Bassaaar  
وقى أنفسكم أمة تبرزون